ومَنِ البـّينِ في ذلك قولُه تعالى في قِصّـَةِ السّـَحَرةِ : (قَالُوا إنّا إلى رَبـّنَا مُنْقَلِبُونَ) . وذاك لأنه عَيَانٌ أنه جوابُ فرعونَ عن قولِهِ : (آمنتُم له قبلَ أنْ آذَنَ لكم) فهذا هو وَجْهُ القولِ في نُصْرةِ هذه الحكاية .

ثم إنّـَ الأَصْلَ الذي ينبغي أن يكونَ عليه البناءُ هو الذي دُوّنَ في الكتبِ من أنها للتأكيدِ . وإذا كانَ قد ثَبتَ ذلك فإِذا كان الخبرُ بأمرٍ ليس للمخاطب ظنّ في خِلافهِ البتـّةَ ولا يكونُ قد عَقَد في نفسِهِ أن الذي تزعمُ أنـّه كائنٌ غيرُ كائنٍ وأنّـَ الذي تزعمُ أنه لم يكنْ كائِنٌ فأنتَ لا تحتاجُ هناك إلى " إنّ " وإنما تحتاجُ إليها إذا كانَ له ظنّ في الخلافِ وعَقْدُ قلبٍ على نفيِ ما تُثْبِتُ أو إثباتِ ما تَنْفي . ولذلك تراها تزدادُ حسناً إذا كان الخبرُ بأمرٍ يَبْعُدُ مثلُه في الظنّ ِ وبشيءٍ قد جرتْ عادةُ الناس بخلافهِ كقول أبي نُوَاس - السريع - : .

(إِنّ غِنى نَفْسِكَ في اليَاسِ ...) .

فقد ترى حسنَ موقعها وكيف قبولُ النفسِ لها وليسَ ذلك إلاّ لأنّ الغالبَ على الناس أنهم لا يَحمِلون أنفسَهم على اليأس ولا يَدَعونَ الرجاءَ والطّمعَ ولا يعترفُ كلّ ُ أحد ولا يَسلّـِم أنّ الغنى في اليأس . فلما كان كذلك كان الموضعُ موضعَ إلى التأكيدِ فلذلك كان من حُسنِها ما ترى . ومثلُه سواءٌ قولُ محمدِ بنِ وُهَيبٍ - الطويل - : .

(أجَارتَنا إنّ التّـَعَفّـُفَ باليَاسِ ... وصَبْراً على اسْتِدْرارِ دُنْيا بإِبساسِ) .

(حَرِيّـَانِ أنْ لا يَقْذِفا بمَدلّـَةٍ ... كَريماً وأنْ لا يُحوِجاهُ إلى النّاسِ) .

(أجارَتَنا إنّ القِدَاحَ كَواذِبٌ ... وأكْثَرُ أَسْبابِ النّجاحِ معَ اليأسِ) .

هو كما لا يَخْفَى كلامٌ مع مَن لا يرى أن الأمْرَ كما قال بل ينكِرُه ويعتقدُ خلافَه . ومعلومٌ أنه لم يقلْه إلاّ والمرأةُ تحدُوه وتبعَثُه على التعرّضِ للناس وعلى الطلب